هذا ما عن لنا في الاصلاح الواجب مراعاته الآن في السلطنة وسنشرح رأينا في الاصلاح الديني أي المؤدي الى المحافظة على الدين والعمل به وجمع كلمة المسلمين ورفعه الى مقام الخلافة في عدد تال ان شاء الله تعالى

السعادة الحقيقية

لحضرة الاصولي الفاضل حموده افندي عبده الحامي

جسم السعادة يتألف من مقومات الحياة المادية والملاذ الجسمانية ولا حياة لجسم الا بروح وروح السعادة هي الفضائل النفسانية والكمالات المعنوية والمزايا البشرية

شغلت عقول الناس عن معنى السعادة الحقيقية وصرفوا آمالهم وسعيهم الى ما يجلب لذة جسمانية وراحة بدنية واعتقدوا ان لا سعادة لهم الا بالاستحواذ على ما تقوم به معيشتهم وظنوا ان الظواهر المادية تكسبهم ثوبا من الفضل وحلة من الكمال فبهذا انصرفوا عن التطلع الى الكمالات وكسب الممدوح من الاخلاق والصفات

والناس في حياتهم المادية قسمان قسم يستحوذ على المال من طريق الحق والعقل وقسم تاه في بيداء الغواية وسلك طريق الغواية يطلب المال مهما كانت ذريعته ويسعى اليه مهما كانت وسيلته الا انه لم ينل من الكمال حظا ولا أصاب من الفضل غرضا ومثله في مثل ذلك المجاه التي تطعم لما تقدم من العمل . فجمعه المال وان كان بطريق حق ثابت لا فضل

له فيه ولا يعد فاضلا الا بالفضائل التي نبينها . والقسم الآخر هو أقل بكثير في الدرجة من القسم الاول ومثله مثل الحيوانات الضارية التي لا ينال الناس منها سوى الضرر . الانسان نوع ميزه الله عن الحيوانات بمزايا العقل والفضائل فاذا لم توجد تلك المزايا فقد انحط عن درجة الحيوانات لانه اذا عري عن تلك المزايا صار حيوانا ضاراً وصارت هي أنفع منه .

ثبت حينئذ ان الاستحواذ على مناهل الثروة وينابيع الكسب ليس كافيا وحده في لبس ثوب الفضل وانما يصح ان يتخذ المال آلة للوصول الى بعض الفضائل ومن جعله غرضا لا يسعى الا اليه فقد جهل حقيقة نفسه وأضاع الغاية المطلوبة من حياته

والناس متقاربون في حياتهم المادية مهما اختلفت الثروة فربما تلذذ الفقير بعيشه القليل ونغص الغني ذو النعيم العظيم على أن موارد الثروة لا تدوم لصاحبها فكم من غني زال وما دام وكم من فقير أصبح يجر ذيول النعيم . فلا تفاوت في الحقيقة بين الناس الا بالفضائل والمحامد لانها هي المزايا الموطدة لروابط الجمعية البشرية المؤسسة لبناء هيكل الانسانية وما دامت في افراد دولة يدوم معها الارتقاء واذا انحطت هوت تلك الدولة في مهاوي الدمار وبعدت عنها السيادة بعد السماء

نقرأ في سير الغابرين ونشاهد في أمم الحاضرين أن الدولة ترقى أوج الكمال وتبلغ الفضائل من نفوس أهليها مبلغا عظيما ثم تنحط من تلك الرفعة الى حضيض المذلة وربما خيل ان الفضائل مع تمكنها من نفوس تلك الدولة الراقية لم تقدم شيئا في سعادتهم ولم توقف مجاري

انحطاطهم وحينئذ يبطل القول بأن الفضائل هي الموصلة للسعادة ولكننا نجيب على ذلك بأن الدولة اذا وهنت بعد عظمتها فقد فقدت عنصر الفضائل من نفوسها والعلة المؤثرة في السقوط هي في الحقيقة ضياع تلك الفضائل من افرادها فان الوهن الذي يطرأ على أفراد الدولة الراقية سببه انهم عند ما يحسون بلذة العيش ونعيم الراحة يروق في طباعهم محبة الحياة المادية وبعد قليل تغلب عليهم تلك المحبة ثم ينتهي بهم الحال الى أن تتحجر في طباعهم وتصبح طبيعة لا مرد لقضائها وعند ذلك ينسون الفضائل وما توجبه على نفوسهم من المزايا وتبتدىء عندهم كراهية تلك الفضائل لانها لا تبيح لهم كل ما تشتهيه الحواس ويطالب به الميل الجسماني ثم تتدرج الكراهية في نفوسهم وينتهي الامر بأن تصبح الفضائل كالعدو القائم عليهم بالمرصاد فيمجونها وينبذونها وحينئذ يستولي السقوط على الدولة بذهاب الكمال من الناس وانحلال الرابطة وتصبح حكومة الطباع الفاسدة هي المؤيدة للسلطة وتذهب سنن النظام ادراج الرياح . فلاجل صيانة الدولة من السقوط لا بد حينئذ من طائفة في كل أمة تقوم بأمر الحث على الفضائل خصوصا اذا بلغت من الارتقاء الحد الذي نوهنا عنه لان الفضائل أخلاق مكتسبة كما سنبينه ولاجل أن ترسخ في النفوس لا بد أن يكون هناك ما يقومها ويطالب بها دائما

ثبت حينئذ أن ارتقاء الامم وحفظ سعادتها لا يكون الا بالفضائل والكمالات

بقي علينا أن نعرف هل الفضائل غريزية في النفس أو مكتسبة .

واذا كانت مكتسبة فما هو طريق اكتسابها . ثم لنا كلام بعد ذلك على بعض الفضائل ان شاء الله

لم يخلق الانسان ميالا بطبعه وغريزته الى الفضيلة وانما يخلق وفيه استعداد لتلقي الفضيلة على حسب ما يوجهه اليه القائمون بأمره. والدليل الحسي ناطق بذلك فان سكان البادية تشاهد في طباعهم خشونة وفي أخلاقهم بيوسة وهم أبعد الناس عن الفضائل (في هذا الكلام نظر سيظهره المنار عند المناسبة) ولولا ما بث فيهم من العقائد الدينية الحاضة على التمسك بالفضائل لاصبحوا شر الناس ولكانوا كالحيوانات في سيرهم ومعيشتهم أما أهل المدن فنجد في طباعهم لينا وفي أخلاقهم رقة ولا بد حينئذ من أن يكون هناك عامل مؤثر في طباع أهل المدن لا يوجد في طباع سكان البادية وذلك العامل هو التربية فأهل البادية لبعدهم عن المربي والمرشد لهم كانوا على ما ذكرنا وأهل المدن لوجود المربي بينهم اكتسبوا ما هم فيه من الفضائل وثبت حينئذ ان الفضائل أمور كسبية مناطها التربية فالتربية هي الطريق الحقيقي الموصل للفضائل

فالمؤثر الحقيقي الذي تجني به جميع الفضائل هو التربية لهذا كان الاعتناء بأمرها مقرراً عند الامم التي رتست في مروج المدنية وبحبوحة السعادة

يخيل للانسان من تغلب قوته الحيوانية على روحه الشفافة البشرية أن الفضائل أمور شاقة والاخذ بها مما يضيق على النفس في التصرف بحريتها وربما كان هو السبب في انحراف أغلب الناس عن الاخذ بالفضائل واكتسابها ولكن هذا خيال باطل وان لذة المتمسك بالفضائل لهي أعلى وأرقى من ملاذ المتمسك بالطباع الفاسدة لان الفضائل هي كمالات

ترفع بها درجة النفس وتصيرها معظمة سائدة على غيرها وأي لذة تضارع لذة تلك الرفعة المعنوية التي يشرق نورها على الروح بتأثيرها لا كما يحصل في اللذائذ المادية من سرعة الزوال لهذا كانت الشرائع متفقة كلها على الحث على الفضائل ولم تختير موضوعا أعلى ولا مقاما أسمى من ذلك المقام العظيم المنوط به السعادة الدنيوية والاخروية . وعلى فرض أن في تحمل الفضائل مشاق على النفس أمام ما يصادمها من الملاذ الحسية فالتربية تصير الفضائل طبائع وتغرسها في النفوس كالنقوش ويشب الشخص داثبا عليها تلازمه في حركاته وسكناته اذا قصر في بعضها يجد من ضميره زاجراً وموبخا ويأخذه في نفسه انقباض وكدر وعلى العكس من ذلك تجده مسروراً مشروح الصدر اذا أرادها وواظب عليها ووقف عند حدها . بقي علينا أن نعرف متى تغرس الفضائل في النفوس وما هو دور الحياة اللائق لغرسها

للحياة ثلاثة أدوار طبيعية دور الطفولية والشبوبية والرجولية ففي دور الطفوليه يكون ذهن الطفل أكثر استعدادا لتلقي مبادىء التربية وعناصر الفضائل وهو ببركة ماله من السذاجة في هذا الدور يكون قلبه كالمرآة ينطبع فيه جميع ما يلقى اليه ولا يصح حرمان الطفل من تلقينه تلك المبادىء في هذا الدور لأن ذلك يوعر عليه طرق الاكتساب في الدورين الآخرين من حياته

ثم ان بعض الناس يعتقد ان الترهيب هو السبب الوحيد لتلقين المبادئ في هذا الدور وهذا من الشطط لان تأثير الترهيب نجده في الغالب قاصرا على ردع الشخص امام زاجره ومتى انتهز فرصة غياب

الزاجر يأتي المحذر منه ولا شيء يمنعه أما الترغيب في الفضيلة مع بيان منفعتها للطفل على قدر ما يقبله عقله بطريق الوداعة والمداعبة فما يطبع الطفل عليها ويحببها لنفسه لانها أتت من طريق يلائم طبعه بخلاف ما يأتي من طريق المكروه والترهيب فانه دائما يكون مكروها عند الطفل لهذا كانت معالم التربية في بلاد الريف من كل أمة هي أكثر انحطاطا منها في المدن وهذا سببه ان معالم الفضائل لم تغرس في نفوس الاطفال على وجه معقول مقبول بل كانها تغرس بطريق الترهيب المكروه الذي اعتاده أهل البادية .

دور الشبوبية هو الدور الذي تحكم فيه الشهوة ويتغلب فيه سلطان الملاذ الجسمانية بحكم الطبيعة ولا بد من معالجة النفس في قبول الفضائل وهنا تبذل جميع الوسائل من ترهيب وترغيب يختلفان باختلاف الاستعداد الموجود في الافراد ولطالما وقعت شباب في شرك الشهوات بسبب ترك التربية في هذا الدور وقضوا حياتهم في ملاذ حيوانية وشهوات بهيمية

دور الرجولية هو دور إلقاء النصيحة على الناس وتذكيرهم بما غرس في نفوسهم من معالم الفضائل في الدورين السابقين وهذا الدور لاحد له من العمر بل الواجب على أمة تطلب فخاراً وتنوي ارتقاء أن يقوم من افرادها نفر أعطاهم الله قوة سليمة في القاء النصائح والحث على الفضائل وبلاغة في التعبير وصناعة في الالقاء وقوة في البرهان ودرجة عالية في القلوب وبالجملة يكونون من خيار الامة وعظمائها حتى يكون لقولهم تأثير على النفوس وتذكيرهم يبقى له أثر في الأرواح وسلطة في القلوب لهذا كان من حكمة الدين الاسلامي أن فرض علينا الخطبة في صلاة الجمعة

تذكيراً للناس بالفضائل والمواعظ حتى لا يغيب عن عقولهم خيالها لأن الانسان بماله عن كثرة الاشغال طبع على النسيان فلا بد من منبه ينبهه ووازع يذكره. هذا مجمل من الكلام يختص بماهية السعادة الحقيقية ويذكر أن الفضائل هي غرائز مكتسبة بالتربية وسنأتي ان شاء الله تعالى على بيان الفضائل وكيف أنها روح السعادة   (لها بقية)

الشعر العصري

لنظم فارس البراعة عزتلو الامير شكيب ارسلان

عما بصباح العلم رغداً وأنما   بربع ظلام الجهل عنه تصرما
قد انصاح[1] صبح السعد في ليل نحسه   فغادره شيئاً فشيئاً مهزما
وثاب اليه العلم عدوا بعوده   اليه فلا لوم ما تلوما[2]
فأصبح داجي أفقه اليوم زاهراً   وقد كان زاهي أفقه قبل مظلما
وأينع ذاوي روضه اليوم بعدأن   تصوح من عصف البوارح في الحمى[3]
ترنح عطف السعد فيه بعيد ما   رأى لثغور العلم فيه تبسما
وباتت غصون العز تخطر عند ما   رأت فوقها طير المعارف حوما
لعمرك أن الشرق رُدّ بهاؤه   فيرفل في ثوب الثناء منمنما
وعاد اليه الفضل والعود أحمد   عليه اذا كان الغياب مذمما
وما الشرق الا ذلك الشرق لم يزل   مدى الدهر اعلام العلى متسنما
فان نابه يوما من الدهر صرفه   فلم تك الا برهة فتثلما

(١) انشق (٢) ثاب رجع وتلوم تمكث وتأخر (٣) تصوح تشقق والبوارح الرياح الحارة